بياض الصّمت وعودة الأيدي

الشاعر المثخن بالجراح بين يدي العرافة

نجاح إبراهيم

لطالما رغب المبدع أن يجرح البياض الممدّد أمامه، متمثلاً بتلك الورقة البلهاء المستلقية على الطاولة، التي تخاتله حيناً، ويخاتلها أحياناً، تعذّبه بنظراتها الفارغة الباعثة على الدّهشة، ويعذبها حين يشنّ عليها هجوماً مروّعاً، يضاهي هجوم التتار في حروبهم!

فيلمس فيها بياضاً أحمق، صمتاً مميتاً، يسعى إلى رشقه بالحبر، وعملية الرّشق هذه تعني خلاصة فكره وتأمّله، التي يجسّدها إبداعاً يحمل رؤاه، وبالتالي يحمل بصمته.

ولكن ما معنى أن يترك مبدعٌ متعمداً بياضاً على الصّفحة الشعرية التي حبرها؟!

أمل دنقل، شاعر مبدع ولاشك، منذ قصائده الأولى فعل ذلك، لا تكاد تخلو قصيدة من البياض، وهذا البياض عبارة عن أسطر فارغة، ليس فيها سوى نقاط، فمرة تكون أربع نقاط (....) ومرة ثلاثاً (...)، ومرة نقطتين (..).

من قصائده التي كتبها في الستينيات من القرن الفائت قصيدة «عشاء»:

«ولم يرد واحد منهم تحية المساء!/ وعادت الأيدي تراوح الملاعق الصّغيرة، /في طبق الحساء/

نظرتُ في الوعاء:/ هتفتُ:«ويحكم.. دمي، / هذا دمي.. فانتبهوا/».

ترى ما كان يرمي إليه، بتركه ذلك السّطر الفارغ من الكلمات، المنقط فقط؟!

هل هي رغبة منه في إشراك القارئ لأن يضع أفكاراً تلائم القصيدة، أو تكمل المعنى؟

يقول «مالارميه»: «إن للبياض في القصيدة أهمية لافتة للنظر، فالنظم يقتضيه، باعتباره صمتاً يحيط بالقصيدة».

إن المتأمّل للقصيدة يرى أن النظم لم يكن يقتضي الصّمت بقدر ما الشاعر بحاجة كبيرة إليه، حيث لم يشأ أحد أن يردّ عليه السلام حين قصد هؤلاء في موعد العشاء، كانوا منهمكين في تناول الحساء، في حين يدخل الشاعر في صمته المملح، ينظر إلى الوعاء شغل هؤلاء الشاغل، ليهتف بعد برهة، معتقداً أنه المسيح، وأنّ ما يحتسونه إنّما يكون دمه، فلينتبهوا، ولكنّهم غير آبهين.

كان البياض في القصيدة، أو السّطر الفارغ من الكلام، أحوج ما يكون إليه الشاعر، أنه يُشبه الخلفية اللازمة لذلك المشهد الذي يؤثر في النفس أكثر حين تلازمه، وهذا ما يؤكده الناقد عبد السلام المساوي، في كتابه (البنيات الدّالة في شعر أمل دنقل) يقول:

«إذا كان البياض صمتاً، فإن هذا الصّمت ليس محايداً ولا يدل على مطلقيته، أنه صمت وارد في سياق شعري، سواء أكان هذا البياض مؤكداً بنقط، أم مفروضاً من خلال تموقع النّص في الصّفحة..» ص٤٠

وقد يزداد البياض في قصائد دنقل الأخرى، كما في قصيدة العرّاف الأعمى، إذ كلّ مقطع يحتاج صمتاً، أنه يفسحُ للبياض حضوراً، أو تحسبه نوعاً من التقديس، بمعنى، هروب الكلام في حضرة الصّمت، وأحياناً أخرى تعتقد أن البياض جريء، بإمكانه أن يلتهم الكلام لدى الشاعر، وتظن – أن بعض الظن إثم – أن الشاعر عجز عن إتمام فكرته، أو نفد الكلام – القوالة خلصت – فرغب من القارئ أن يملأ الفراغات:

«قولي من أين؟/ الصّمت شظايا / والكلمات بلا عينين! /

أيّ وجوه تتدلى منها بسمات الزّيف / ضائعة المعنى، متآكلة الأنف، /

في طبق اليوم / مَنْ يمسح عنّي عرقي في هذا اليوم الصّائف؟/

يتمدد من تحتي، يفصلُ بين الأرض.. وبيني! /

في قصيدته (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) يلجأ الشاعر إلى العرّافة مثخناً بالجراح، منكسراً، فيسأل عن ساعده المقطوع والذي ما يزال يمسك بالرّاية المنكسة، وعن وقفته العزلاء بين السّيف والجدار، وعن صرخة المرأة بين السبي والفرار، وعن..

نسوة يُسقن في سلاسل الأسر / وفي ثياب العار /

مطأطئات الرأس / لا يملكن إلا الصّرخات التاعسة /

ترى ماذا أراد أن يقول عن هؤلاء النسوة أكثر؟!

ولمَ اكتفى الشاعر بتلك الفراغات؟ وهل هناك من يعرف التتمة؟!

من الممكن أن يقبض القارئ على صمت دنقل، فيملأ الفراغ بعد تفكير وتأمّل، وقراءات عديدة، ومن الممكن أن يقبض مباشرة على صمته ويملأ الفراغ كما في قصيدة (قلبي والعيون الخضر) حيث قال:

أعلمه الرّماية – كي يفوق بقية الأقران،

«فلما اشتدّ ساعده..»

وقد يكثر البياض في القصيدة، فيجيء سطوراً متتالية، وليس سطراً واحداً في مقطع كما في قصيدة (ماريا):

قولي يا ماريا / أو ما غنيت لأوّل حبّ / غنينا يا ماريا /

أغنية من سنوات الحبّ العذب /

ما أحلى النغمة، / لتكاد تترجم معناها كلمة، كلمة /

مَن أخذ الشاعر إلى كلّ هذا البياض؟ إلى كلّ هذا الصّمت؟ أهو الحنين إلى سنوات الحبّ العذب الذي فُقِدَ؟ ترى ما الذي ألجم قلم دنقل وأسكته، وعندَ مروره بالأسطر ترك آثاراً فقط تدلّ على مروره، هذا المرور المؤلم، المكابد.

وما يؤلم أكثر أن الشاعر المُرهف لم يكن بياضه، صمته على الورق فقط، بل امتدّ في أواخر عمره إلى المكان الذي آل إليه إبان مرضه، إلى المستشفى الذي ألزمه بغرفة لها رقم /٨/ والتي كتب فيها قصائده الست الأخيرة، ضد من، الطيور، الخيول، زهور، لعبة النهاية، الجنوبي – هذا ما أكدته عبلة الرّويني، زوجة الشاعر الرّاحل – حيث تمنى في آخر قصيدة أن يلاقي اثنين الحقيقة، والأوجه الغائبة.

لقد كان البياض موجوداً في كلّ ما يراه الشاعر في هذا المكان، ولكننا لم نلمح أي بياض في قصائده السّت، خلاف قصائد ما قبل مرحلة المرض، لم يترك الشاعر أي سطر للقارئ ليملأه، وإنّما جنّد نفسه وتصدّى لكلّ بياض، لكلّ صمت بحبره، كان يقاتل وهو على سريره البياض الحقيقي الذي يلفه من كلّ جانب، يقاتل بياض الأسرّة في غرف العمليات، حيث نقاب الأطباء أبيض، ولون المعاطف أبيض، وأردية الرّاهبات والملاءات، والجدران، فأراد أن يسحق البياض بحبره، فلا يترك شيئاً منه، لأن في قرارة نفسه أن السّواد هو نفي للموت، نفي للكفن، للصّمت، وهو لون النجاة من الموت، وإمعاناً منه يريد أن يقاوم الموت الذي زحف إليه، أن ينجو منه، هذا الذي حاصره، وجعله يلتصق بالسرير فشكلا جسداً واحداً في انتظار المصير.

لهذا كله قلّ بياض الشاعر في قصائد المرض، وكثر توتره وخوفه وقلقه من الرّحيل قبل أن يقول ما لديه، فعدم تركه للأسطر المنقطة، هو رغبته في أن يكون له حضور وقدرة على الحضور الدّائم في القصيدة، في حين في السّابق كان يترك مساحة للقارئ ليشاركه القصيدة، تأملاً وإبداعاً وحياة، أما في قصائده الأخيرة فالحياة تهربُ منه، فكيف يتقاسمها مع قارئه؟

والمفارقة أن البياض لم يكتف بالزّحف من الصّفحة الشعرية إلى المكان الذي يحيط به، إنّما امتدّ أكثر، وصار مدى بعد أن سمع دنقل أغنية يا ناعسة خلصت مني القوالة، وضغطت تلك الأصابع على زر آلة التسجيل لينتهي كلّ شيء إلا الصّمت الطويل الذي احتلّ الزّمان والمكان.

أهو الحنين إلى سنوات الحب العذب الذي فقد؟!

أكذوبة الرقم واحد

عامر فؤاد عامر

يكرس الزمن في مجتمعنا مثقفاً ما بسبب ريادته أو لربما بسبب أسبقيّته في العمر فيستثمر فرصته في مرحلة لم يعِ إياها غيره، فيكون سباقاً بصورة واضحة وجليّة للحدث أو الصيغة الإبداعية التي انهمك فيها، فيصبح كلّ من يأتي بعده من أدباء خاضعين لاعتباره وكأنه الميزان أو القبان الرافض لكلّ وزن ولا قيمة إلا من خلاله، ولا تقدير إلا من رأيه، ويأتي المجتمع ليعزز هذه الحالة فيزيد من الاعتبار وتقديس الحالة ونفي الآخرين من دونه، وهكذا يصبح ذلك الأديب قادراً على النسف والإلغاء لكلّ من يمكنه أن يقدم جديداً أو يتفوق عليه، أو لا يرضى عما يكتبه ويقدمه!

ينتشر مصطلح «المُعَلْمِيّة» كثيراً في أوساط متعددة اليوم، وهو مصطلح شائع يحمل الكثير من الغوغائيّة والمعنى الفارغ، بمعنى أنه غير عميق المضمون لكنه موحد بين كلّ من نطلق عليه كلمة «مُعَلّم» ونقصد بالمعلم أنّه الرقم القادر على إلغاء جميع من حوله من خلال النسف والقهر والإلغاء ومن دون أن يعترضه أحد، لدرجة أن البعض عندما يريد أن يكسب ودّ أحدهم ممن هم من ذوي السلطة أو تصريف الأمور فإنه أول ما ينعته به هو هذه الكلمة – مُعَلّم – كيف يرضي غروره ويرفع من مستوى أنانيته عسى أن يلبي له مطلبه! وللأسف هنا أيضاً يساهم أحدنا دون وعي منه بأن يعزز من سلبية التسلط والغباء من دون أن يدري بأنّه يضر بكلّ من يشترك معه في مساحة العيش ضمن هذا الوطن.

في كل الميادين الثقافيّة نجد قانوناً مشوّهاً له سيطرته العفنة الواضحة، فهناك من يصمم عن سبق الإصرار والترصّد على الهيمنة على من همّ حوله من أبناء المهنة نفسها ولا يعترف بمن جاء بعده ولا يتنازل عن هذا الاعتبار إلا أمام حلٍّ وحيد هو الرحيل، وهذا ينطبق على الإذاعة لدينا اليوم ولاسيما الخاصّة، إذ يعتقد أحد القائمين على إدارتها بأنّه هو في المقدمة ولا يرى غيره منافساً ولا لائقاً لأن يذكر اسمه بالمقارنة فيفرض شروطه على الضيوف الذين يشرفونه بحضورهم إلى الاستديو الخاص بتلك الإذاعة، وليس العكس وكما يروّج ويفهم بأنّه هو وتلك الإذاعة فرصة للناس التي تمتلك الموهبة! وبالتالي يقلبون قواعد الحياة فهم فرصة للناس وليس العكس أبداً، إلا أن مصطلح «المُعَلّمِيّة» وقانون «البلطجة» هو من يمدّهم بهذه المكانة الكاذبة.

كذلك الأمر في مجالات الإعلام والموسيقا والرسم والتمثيل وغيرها، فهناك أسماء على قلّتها في العطاء وانخفاض مستواها في القيمة إلا أنها تُكرّس لتكون إلهاً لا يمكن تجاوزه، فعلى مدى سنوات وسنوات يتمّ التقيد باسم رسام كاريكتور واحد ويتم إلغاء وتهميش كلّ الأسماء الأخرى لدرجة أنه يتمّ الاعتقاد بأن هذا الفنّ لا يفقه به أحد إلا ذلك الاسم في حين أن من عاصره ومن سبقه ومن أتى بعد من أولئك الفنانين هم أفضل منه بمراحل، لكن للأسف تتضافر الجهود للإعلاء من شأنه في حين يمكنه ببساطة أن يعتلي هذه المكانة ويمثل بكلّ ريائه أنه فعلاً الأهم والأذكى والأفضل على مستوى العالم وليس فقط على مستوى الوطن!

في السينما أيضاً نجد المشكلة ذاتها فالتكريس لرقم واحد مسألة واضحة جداً، ولا مجال للمنافسة الشريفة هنا أيضاً، بل يمكن كسر كل من يحاول تجاوز أكذوبة الرقم واحد بل إن تعدّ حدوده فسيتمّ حرقه بكلّ بساطة! وأودّ أن اضرب مثالاً من واقعنا وذاكرتنا وهو عن القديرة والمرحومة الفنانة «أمينة رزق» التي لم تحتفظ مع تقدّم العمر بدور الفتاة المغناج، كما تفعل بعض النجمات لدينا، لكنها بقيت الممثلة رقم واحد دون منازع، محافظة على مكانها وليس بإصرارها أو بقانون البلطجة المنتشر ذلك، فالناس أو محبة الشارع هي التي جعلتها في تلك المكانة، وإن رحلت فقد حققت لنفسها مكانةً ورقماً ومن دون أن تلغي الآخر أو تنسفه.

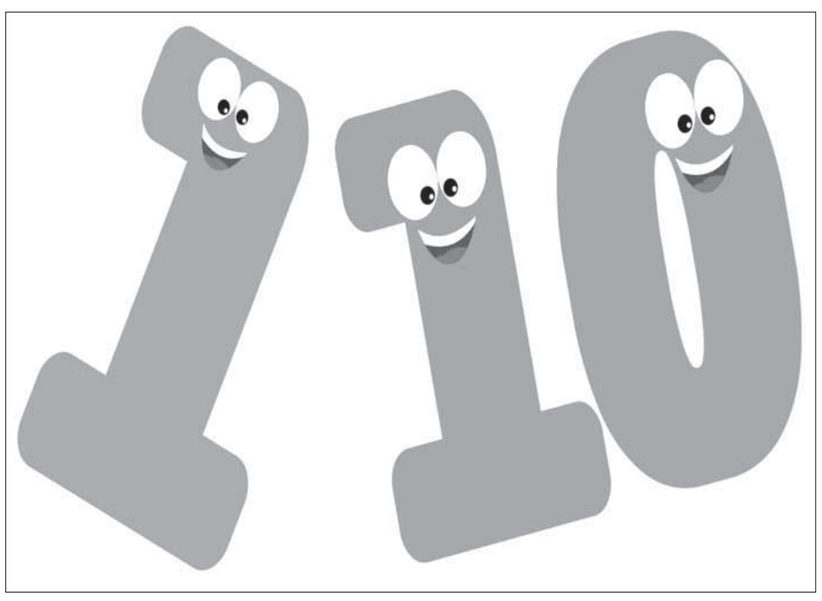

برجك اليوم ٣/٣٠

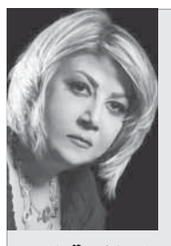

نجلاء قباني

يوم جيد لتشعر أن كل المحيط يدعمك ويعزز ثقتك بنفسك ابتداءً من العائلة والعلاقات الشخصية وانتهاءً بالمسؤولين عن أعمالك وتدخل في نقاشات تصل فيها إلى حلول.

اليوم قد يمنحك المساعدات المالية وقد تفكر بسفر يعيد لك الحيوية والطاقة التي تفتقدها أو تتعرف على أصدقاء جدد يسعدونك بمبادراتهم الإيجابية ومدحهم لك.

لا تكن عصبياً أو مستعجلاً وابتعد عن الخلافات قدر إمكانك وتحكم في ردود فعلك فمازال عملك يحمل حالة من عدم الرضا وما زلت تريد تعزيز إيجابيات مهنتك.

المهنة بخير ولكن اليوم فيه عمل كثير وقد يحمل تغيرات في مجالات العمل ومحيطك يشاركك آراءك وتطلعاتك ويساعدك حتى من دون أن تطلب منهم ذلك.

يوم يجعلك تشع حرارةً أو دفئاً وثقة بالنفس والأهم أنك تتمتع بذكاء عملي لو استخدمته بطرق جيدة لكانت هذه الأيام للأخبار السعيدة وللوعود المتنوعة.

احرص على الاتصال بمن تحب وامنح الاهتمام لعائلتك بهاتف أو سؤال فأنت تعاني حاجتك إلى الاطمئنان ومرارة الوحدة وتفهم أكبر من حولك.

هذا يوم تتفوق فيه أمورك العاطفية على أمورك العملية فالقلب قد يخفق بلقاء مميز وتلاقي الحفاوة أينما وجدت وقد تفكر بترتيب أمورك وبمساعدة العائلة ودعمها.

الدخل أقل من المصروف وهذا يتطلب منك الكثير من شد الأحزمة على الصعيد المالي وقد تتعثر ظروفك المالية بسبب طوارئ لم يكن محسوباً حسابها وخاصة الأمور الصحية.

تبدأ اليوم مع قمر جديد ما يعني كثيراً من الفرص والوعود والنجاحات وتفرح للتأثيرات الايجابية وستلمس ارتياحاً ودعماً من الخارج ومن جهات تعرفها.

أنت تشعر بعواطف غريبة تجاه أحد المحيطين بك يوم للنميمة والحزن أو العتاب فقد تواجه علاقة لم تعد ترضيك في مجال الأعمال أو أمور تضايقك تقوم بكبتها.

مواعيد مهمة وأصدقاء جدد تتعرف عليهم ويؤيدونك فيما تفكر وخاصة العائلة فالأوضاع الفلكية داعمة لك لتجد الفرح ولتضع النقاط على الحروف.

سهام كثيرة توجه لك من حولك ومن منافسيك في العمل أو من رؤسائك أو ممن تحب ولذلك كن أكثر انتباهاً من أي قرار يؤخذ ضدك وهو يحتاج لهدوء في التعاطي.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- كاتب سوري راحل.
٢- سيف- كف- حرف عطف.
٣- من ضروريات الحياة- أرغب- غادَرَ.
٤- انتفاخ- حرف ناصب- توضع في اليد (م).
٥- نصف ديار- مشروب ساخن- حلم.
٦- يخسر (م).
٧- للمساحة (م)- هواء.
٨- ابني- اسم موصول- عاجل (م).
٩- نصف يتوب- ظاهرة بحرية- عَبَرَ (م)- حروف متشابهة.
١٠- من شخصيات ألف ليلة وليلة- لا نبوح به (م).
١١- أمي (مبعثرة)- يكذب.
١٢- يعطي- منتظر (م)- بحر.

عمودي:

١- شاعر فلسطيني راحل.
٢- طريقي- أكله.
٣- مستمر- شك.
٤- نصف وميض- مدينة تركية (م).
٥- أوجاعي- جدها في أدائي.
٦- مقلي- والدة- من الحيوانات (م).
٧- حروف متشابهة- في البحر.
٨- نصف راسخ- صعب.
٩- متشابهان- جدها في تمويلي- دَرَجٌ.
١٠- ممثل مصري.
١١- شعور- صديقي.
١٢- ممثل سوري.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١											■	
٢					■			■				
٣				■				■				
٤							■					
٥			■				■				■	
٦			■	■		■		■	■			
٧			■						■		■	
٨					■			■				
٩			■			■			■			
١٠							■			■		■
١١	■						■					
١٢				■					■			

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ج	و	ر	ج	ا	و	ر	و	ي	ل	■	ع
٢	و	د	ي	ع	■	ع	ا	ب	ر	■	ل	ا
٣	م	■	ا	ب	ا	ل	غ	■	ا	م	و	ر
٤	ا	ب	ض	هـ	■	■	ب	ا	ق	ع	■	ي
٥	ن	ا	ي	■	م	ل	هـ	■	ب	ل	ل	■
٦	ا	ر	ا	ق	■	ب	■	■	هـ	ب	ا	ا
٧	ح	■	ت	ع	م	ي	ر	■	ا	■	د	ب
٨	د	م	■	ر	■	ب	ا	ب	■	ب	ا	ر
٩	ا	م	ي	■	ع	■	■	و	■	ا	■	■
١٠	د	م	ر	■	د	ا	د	ح	م	س	ا	ق
١١	■	■	ج	م	ل	■	ا	هـ	م	ل	■	ا
١٢	ف	ر	ا	ر	■	د	م	■	م	■	ن	م

كلمة السر

ة	ا	ن	ن	ي	ي	م	ل	ع	ت	ل	ف
ر	ب	ش	ج	ا	ع	ة	ر	ل	ن	و	ا
ا	م	ذ	ي	خ	ا	ء	ب	ا	ة	س	ر
ج	ل	ا	ت	ن	ا	د	خ	د	ص	ا	ت
ت	ا	ت	ن	ا	ب	د	ا	ا	ي	ب	د
ل	ب	ه	ه	ا	م	ج	ا	ل	خ	ق	ي
ا	س	ا	م	ب	ي	د	ك	ي	ر	ى	ب
ا	ي	ن	ف	س	ه	ا	غ	د	ا	ن	ل
غ	ف	ل	و	ا	ز	ا	ن	ل	و	ف	ط
ي	ي	ا	ل	ث	م	ن	ذ	ل	ك	س	ا
ر	و	س	ا	ب	ق	ى	ض	ف	ي	ي	س
ك	د	ل	ا	و	ك	و	ا	ر	ح	ل	و

كلمة السر مؤلفة من سبعة حروف ممثلة سورية.

(فلتعلمي ذلك... إنني
لن أغير في نفسي أبداً...
وسأبقى أرتدي ملابسي ذاتها
«رخيصة الثمن»... وسأبقى
أزاول مهنتي نفسها...
ولن أدخل في مجال التجارة
كوالدك... وسأطلب يدك
غداً بشجاعة وأرحل خائباً..)

SUDOKU

	١				٨	٥		
٥		٢		٩				٧
٦				١	٢	٣		٨
	٢			٥			٤	٦
		٨		٣		١		
٧	٩		٨	٤			٥	
٢		١	٣	٨				٥
٨				٢		٧		١
		٧	١				٨	

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

٥	٩	١	٢	٦	٧	٤	٨	٣
٢	٦	٤	١	٨	٣	٩	٥	٧
٨	٣	٧	٥	٩	٤	١	٢	٦
٧	١	٢	٨	٤	٦	٥	٣	٩
٤	٨	٩	٣	٧	٥	٦	١	٢
٣	٥	٦	٩	١	٢	٨	٧	٤
٦	٤	٥	٧	٢	٨	٣	٩	١
٩	٧	٣	٤	٥	١	٢	٦	٨
١	٢	٨	٦	٣	٩	٧	٤	٥

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	٧°/١٨°	٨°/٢٠°
حمص	٧°/١٥°	٨°/١٧°
حلب	٧°/١٦°	٧°/١٦°
اللاذقية	١١°/١٨°	١١°/١٨°
السويداء	٦°/١٣°	٧°/١٥°
الحسكة	٩°/١٨°	١٠°/١٩°

من هو؟

مطرب لبناني، إذا جمعت الأحرف:

٧ + ١: وشى.
٢ + ٦: خاصتي.
٤ + ٥ + ٣: عكس جدٌ.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: ريم علي.